

20 مايو 2007

هذا الهجوم على رجل شجاع

خالد فهمي، أستاذ تاريخ الشرق الأوسط الحديث - جامعة نيويورك

جويل بنين أستاذ أمريكي امضى حياته الأكاديمية فى دراسة تاريخ الطبقة العاملة المصرية وفى التاريخ للصراع العربى-الإسرائيلى، مؤكداً الحقوق التاريخية للفلسطينيين مندداً بالسياسة الاستعمارية الإستيطانية الإسرائيلية. ويشغل جويل بنين الآن منصب مدير مركز دراسات الشرق الأوسط فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وكان قبل ذلك ولسنوات طويلة أستاذ تاريخ الشرق الأوسط الحديث بجامعة ستانفورد بالولايات المتحدة الأمريكية وهو أستاذ معروف فى أوساط العاملين فى مجال دراسات الشرق الأوسط فى الجامعات الأمريكية والغربية بشكل عام.

وكان قد إنتخب عام 2002 رئيساً لميسا أى رابطة دراسات الشرق الأوسط فى أمريكا الشمالية وهى من كبرى رابطات دراسات الشرق الأوسط فى العالم حيث تضم ما يقرب من ثلاثة آلاف أكاديمى من المتخصصين فى هذا المجال.

وفى شبابه وكغيره من الشباب اليهودى الأمريكى كان جويل بنين ذا ميول صهيونية، ولكنه بعد أن عاش فى إسرائيل لفترات متفرقة وبعد أن عاين بنفسه السياسات العنصرية التى تمارس ضد الفلسطينيين قرر التخلّى عن صهيونيته وتكريس حياته دفاعاً عن حقوق الفلسطينيين محاولاً فى نفس الوقت بلورة رؤية مستقبلية عن كيفية الوصول إلى تسوية سلمية للصراع الفلسطينى-الإسرائيلى.

وبعد انجاز رسالة دكتوراه عن تاريخ الطبقة العاملة المصرية من 1936 إلى 1954 انكب جويل بين على كتابة الكتب والمقالات والدراسات عن نواح متعددة من الصراع العربى-الإسرائيلى. ففى عام 1989 مثلاً حرر كتاباً بالإنجليزية عنوانه "إنتفاضة" دافع فيه عن الإنتفاضة الفلسطينية الأولى عندما كان مجرد الحديث عن الفلسطينيين فى الأوساط الأكاديمية الأمريكية يعد نوعاً من الهرطقة السياسية التى تجلب على صاحبها للعواقب الوخيمة خاصة إذا كان صاحبها هذا يهودياً بل صهيونى سابقاً تخلّى عن صهيونيته بشكل علنى ومشهور. ومما يؤكد على أهمية هذا الكتاب وقيمه العلمية أن ادوارد سعيد هو الذى كتب مقدمته وان من بين المساهمين فيه محمود درويش وعزمى بشارة وناعوم تشومسكى ونزار قبانى.

ثم أنجز كتاباً آخر عن علاقة الماركسية بالصهيونية، وتحديداً عن موقف اليهود المصريين من الصراع العربي-الإسرائيلي في بداياته، وبعد ذلك أصدر مع جوستورك كتاباً عن الإسلام السياسي وهو عبارة عن مجموعة من المقالات كان قد سبق نشرها في مجلة ميدل ايست زيورث اليسارية الأمريكية التي أشرف مع آخرين على تحريرها، والتي تعتبر من أدق مصادر المعلومات عن الشرق الأوسط في الولايات المتحدة. ومن آخر أعمال جويل بينين كتاب حرره عام 2006 بعنوان الصراع على السيادة: فلسطين وإسرائيل 1993-2005 وفيه يرد على الإدعاءات الصهيونية بأن السنوات التي أعقبت التوقيع على اتفاقيات أوسلو عام 1993 كانت سنوات أمل ورخاء وعضاً عن ذلك يدلل جويل بينين في هذا الكتاب على كيف أفرزت اتفاقيات أوسلو واقعاً فلسطينياً مأسوياً ازداد فيه فقر الشعب الفلسطيني في الضفة والقطاع وازداد فيه إحساس الفلسطينيين بالقمع والحصار.

وإضافة إلى مؤلفاته العديدة فإن جويل بينين لا يتوارى خلف أسوار الجامعة ولا يسكن أبراجها العالية، فهو كثير الحديث في الإذاعات ومحطات التلفزيون الأمريكية المستقلة كما في الفضائيات العربية وهو في تلك الأحاديث لا يتردد في توجيه أشد الانتقادات لإسرائيل، متهما إياها بأنها دولة استعمارية ومدافعا عن حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم بما في ذلك حقهم في دولة مستقلة كما لم يتردد في توجيه اتهاماته للقادة الإسرائيليين عن السياسة العنصرية التي يتهجونها تجاه الفلسطينيين والعرب عموماً، وقد طالب محاكمة اريل شارون عن دوره في مجرة صبرا وشاتيلا في بيروت عام 1982 وهو أيضاً دائم الحديث عن مساوئ السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط وعن انحيازها لإسرائيل كجزء لا يتجزأ من سياساتها الاستعمارية في الشرق الأوسط كله، كما يؤكد دوماً على أن سياسات الولايات المتحدة وليست أفكار ودعاية "الأصولية الإسلامية أو الإرهاب الفلسطيني هي سبب كراهية العرب للولايات المتحدة.

وفي أعقاب أحداث سبتمبر 2001 لم ينزلق جويل بينين كالكثيرين ممن أطلوا علينا في شاشات التلفزيون الأمريكي ليؤكدوا خطورة الإرهاب الإسلامي على مصالح الولايات المتحدة الأمريكية بل ردد في مناسبات عديدة خطأ السياسات الأمريكية في المنطقة بدءاً من الانحياز التام لإسرائيل مروراً بدعم الأنظمة القمعية وانتهاءً بغياب رؤية موضوعية وعادلة لحل القضية الفلسطينية، كما لم يتوان عن تسليط الضوء على الانتهاكات العديدة للحقوق المدنية والدستورية التي ارتكبتها إدارة الرئيس بوش في سياساتها لمحاربة الإرهاب.

وبعد انتخابه رئيساً لميسا وفي خطابه المهم الذي ألقاه بهذه المناسبة ذهب جويل بينين بعيداً لنفى الصلة بين الإسلام والإرهاب وتذكير المجتمع الأمريكي بأن سياسات الإدارة الأمريكية المتعاقبة في المنطقة هي التي أوجبت مشاعر العداة تجاه الولايات المتحدة وفي هذا الخطاب هاجم جويل بينين المحاولات المستميتة في الأوساط الأكاديمية الأمريكية لتكسيم الأفواه المهاجمة لسياسات إسرائيل العنصرية، وخص

بالذكر لورنس سامرز، رئيس جامعة هارفارد لمحاولاته وأد الجهود الرامية إلى سحب الاستثمارات الأمريكية من إسرائيل بسبب سياساتها العنصرية بحجة أن هذه الجهود لا سامية. ودعا جويل بينين مستمعيه إلى التخلي عن شعارات الحرب على الإرهاب ومحور الشر وصراع الحضارات لأنها لا تساعدنا على فهم واقعنا المعقد.

وأثناء رئاسته ميسا دافع جويل بينين عن الدكتور سامي العريان استاذ الكمبيوتر بجامعة ساوث فلوريدا الذى وجهت له تهمة مساندة الإرهاب وجرى رفعه من الجامعة نتيجة لذلك ولم ينتظر جويل بينين حكم المحكمة التى برأته بعد ذلك بسنوات عديدة بل هب للدفاع عنه وكتب عنه خطابات عديدة لجامعة ساوث فلوريدا متهما إياها بانتهاك مبدأ الحرية الأكاديمي.

وفى مقال نشره فى عدد 31 مايو 2004 من مجلة ذا ناشيونال ذائعة الصيت كتب جويل بينين منتقدا عددا من المؤرخين الإسرائيليين الذين تصدوا لكتابة تاريخ حرب 1967، ومنهم مايكل أورين مؤلف كتاب " ستة أيام من الحرب"، ذلك الكتاب الذى استقبل بحفاوة بالغة فى الولايات المتحدة. وبعد قراءة نقدية متأنية للكتاب كتب جويل بينين منتقدا أورين لأنه أغفل ثلاث حقائق محورية: الأولى أنه -وحسب شهادات موسى دايان نفسه- كانت إسرائيل تتحرش عن عمد بسوريا منذ 1948 بغرض فرض سيطرتها على المنطقة منزوعة السلاح على الحدود المشتركة، والثانية أن حسب تقارير إستخباراتية إسرائيلية لم تكن إسرائيل تواجه خطرا وجوديا عام 1967 كما يدعى أورين وغيره من المؤرخين الصهاينة، والثالثة أنه وحسب شمعون بيريز نفسه فإن إسرائيل هى التى رفضت الخوض فى تسوية سلمية لمعرفتها أن ذلك سيسئلمز مفاوضات على الحدود النهائية أو على موضوع اللاجئين.

وكان من نتاج هذه المواقف الواضحة والشجاعة أن تعرض جويل بينين للهجوم من قبل الصهاينة والقوى اليمينية الأمريكية التى هالها أن ترى أستاذا فى جامعة مرموقة يكيل الاتهامات الخطيرة الواحد تلو الآخر للحكومات الأمريكية المختلفة وحليفاتها إسرائيل، وبالطبع زاد من الطين بلة كون جويل بينين يهوديا بل صهيونى سابقا كما ذكرنا. فشنت عليه الحملات وجردت ضده الأقلام وكيلت له الاتهامات. فهناك العديد من الجماعات التى تضغط على جامعة ستانفورد، وهى الجامعة التى يعمل بها جويل بينين أصلا، لكى تسحب منه عقده الذى ثبت به فى الجامعة "Tenure"، كما طلب من طلابه مراقبته وكتابة ما يتفوه به فى محاضراته وأن يقدموا بذلك تقريرا لموقع "Campus Watch" سيئ السمعة الذى يعيدنا إلى الأجواء المكارثية فى الخمسينيات. وفى آخر زيارة له للولايات المتحدة فى فبراير الماضى ضغطت إحدى الجمعيات الصهيونية بنجاح لكى تلغى محاضرة كان يفترض أن يلقيها فى مدرسة هاركر فى سان خوزيه بولاية كاليفورنيا. ومنذ سنوات قليلة نشر كاتب صهيونى متطرف كتابا اختار أن يضع صورة جويل بينين على غلافه، وكان الكتاب بعنوان "المساعدة الأكاديمية للإرهاب". أما الصور الأخرى التى وضعت على

الغلاف فكانت لسامى العريان وللين ستوارت محاميه الشيخ عمر عبد الرحمن، ولراشيل كورى، المناضلة الشابة الأمريكية التي دفعت حياتها تحت جرافة إسرائيلية ثمنا لمؤازرة الفلسطينيين ضد قوات الاحتلال الإسرائيلى.

ونظرا لهذه المواقف المحترمة فقد استغربت بشدة ما كتبه رعوف عباس فى مقال بعنوان "هذا الدور المريب للجامعة الأمريكية فى عدد 13 مايو من جريدة العربى"، ففى هذا المقال وجه رعوف عباس إنتقادات خطيرة للجامعة الأمريكية بالقاهرة ولجويل بنين مدير مركز دراسات الشرق الأوسط بالجامعة متهما إياه بأنه يروج للمشروع الصهيونى الذى زعم أن الجامعة الأمريكية تنتهجه فى الآونة الأخيرة. وإضافة إلى الهجوم العنيف على شخص جويل بنين فقد استغربت أن يرد فى مقال رعوف عباس أخطاء عديدة كان يمكن التحرى عنها وتصويبها بسهولة.

فى بداية مقاله يربط رعوف عباس بين قرار تعيين جويل بنين فى مركز دراسات الشرق الأوسط (الأمر الذى حدث عام 2006) وبين تشييد الجامعة لحرم جديد بالقاهرة الجديدة، ويقول إن هذا الحرم تكلف مليارات الدولارات، وأنه لابد أن تكون الجامعة قد حصلت عليها من جهات أمريكية مانحة، ولعل تلك الجهات طلبت من إدارة الجامعة ترشيح برامجها الدراسية بما يخدم الاتجاهات الصهيونى-أمريكية، وكان مشروع دراسات الشرق الأوسط حجر الزاوية على ما يبدو فى هذا الترشيح، فاختير لتولى أمر المشروع جويل بنين الأمريكى-الإسرائيلى. وكان يمكن لرعوف عباس أن يرجع لموقع الجامعة على النت ليعرف أن تكلفة إنشاء الحرم الجديد 300 مليون دولار وليست مليارات الدولارات كما زعم. كما أن موقع الجامعة على النت يذكر أن الجامعة اشترت الأرض التى سيقام عليها الحرم الجديد فى عام 1997 وأن مجلس الأوصياء وافق على الرسومات الهندسية وميزانية المشروع عام 2000، أما تعيين جويل بنين فى الجامعة الأمريكية فتم عام 2006، فكيف يصح ربط تعيين جويل بنين فى الجامعة برضوخ الجامعة لضغوط الجهات الأمريكية المانحة التى يفترض أنها مولت مشروع الحرم الجديد قبل ذلك بست إن لم يكن بتسع سنوات؟

كما يشير رعوف عباس إلى جويل بنين بأنه أمريكى إسرائيلى، وتلك أيضا معلومة خاطئة، فجويل بنين لم يحصل أبدا على الجنسية الإسرائيلىة.

أما أهم انتقاد وجهه رعوف عباس لجويل بنين فهو محاضرة ألقاها جويل بنين يوم 24 إبريل فى الجامعة الأمريكية فى إطار الاحتفال بمرور ثلاثين عاما على صدور أوراق القاهرة فى العلوم الاجتماعىة وهى إحدى الدوريات التى تصدرها الجامعة. ويعترف رعوف عباس بأنه لم يحضر هذه الندوة وأنه نقل كلام جويل بنين فيها عن جريدة "الدلى ستار" الانجليزية (عدد 26 ابريل)، ويضيف نقلا عن هذه الجريدة، أن جويل بنين طالب بضرورة إغلاق ملف المقاومة، وأنه قال ردا على سؤال من أحد

الحاضرين أن الاستعمار الاستيطاني غير قابل للهزيمة، ومن الممكن أن يصبح الفلسطينيون إذا استمروا في المقاومة مثل هنود أمريكا، ينتهى بهم الأمر إلى العيش فى معازل!!

وبما أننى كنت حاضرا فى هذه الندوة فأستطيع الجزم بأن تغطية الديلى ستار لوقائع الندوة لم تكن دقيقة. فجويل بينين لم يقل بعدم جدوى المقاومة بل قال إن المقاومة المسلحة لن تحل القضية الفلسطينية، وهناك فرق هائل بين الموقفين، فالأول يعنى الاستسلام والإذعان لمطالب إسرائيل وإملاءاتها، أما الثانى فيحثنا على البحث عن أساليب ووسائل للمقاومة قد تكون أجدى وأنفع، وهذا الرأى الثانى مختلف عليه بالطبع، ولكنه لا يعنى أن مرده من رعاة الهزيمة والاستسلام أو التسليم بالهيمنة الصهيو-أمريكية كما قال رعوف عباس. أما بخصوص الشق الثانى من الاقتباس الذى أتى به رعوف عباس نقلا عن جريدة الديلى ستار فهو أيضا تعوزه الدقة. فجويل بينين كان يرد على سؤال يقول إنه أى جويل بينين، لا يبدو أنه يولى السياسة الاستعمارية الإسرائيلية الأهمية التى تستحقها وأنه يساويها بغيرها من السياسات الاستعمارية لدول أخرى. وعلى هذا السؤال رد جويل بينين موضحا أنه يؤكد على أن إسرائيل دولة استعمارية استيطانية وأن هناك الكثير من الدراسات الأكاديمية التى تناولت تلك السمة من السياسة الاستعمارية الإسرائيلية. ثم أضاف أنه يجب أن ننتبه إلى أن التاريخ يقدم لنا نماذج للاستعمار الاستيطاني نجحت فى تطبيق سياساتها، وأهمها الولايات المتحدة وكندا وأستراليا، وأنه إذا جاز لنا أن نتعلم من التاريخ فسيتضح لنا أنه ليس هناك ما يمنع الفلسطينيين من أن يلاقوا نفس مصير الهنود الحمر. وأى مستمع منصف لهذا الكلام كان سيدرك أن المقصود منه هو عدم التواكل بل النظر بموضوعية للأخطار المحدقة بالفلسطينيين والحث على التفكير فى وسائل ومشاريع خلاقة يمكنها أن تمنع الوصول إلى هذه النهاية المأساوية. أما القول بأن جويل بينين كان يقصد بهذا الكلام أن يبشر بحصار الفلسطينيين فى معازل شأنهم فى ذلك شأن الهنود الحمر فى أمريكا، (وأنه) يدعوننا إلى أن نعى حقائق الأمور، ونبرأ من نزع المقاومة فهو كلام غير دقيق مبنى على نقل من مصدر غير دقيق بدوره، وكنت أنتظر من رعوف عباس أن يتحرى الدقة بالفعل قبل أن يشن هذا الهجوم العنيف على جويل بينين.

جويل بينين لديه بالطبع بعض الأفكار والمواقف التى أختلف معه فيها ولكنه اختلاف مبنى على الاحترام والتقدير وليس اختلافا يحتم الإقصاء والتخوين فجويل بينين هو الذى فاق الأكاديميين المصريين، وأنا منهم، فيما قام به فى سبيل الدراسة المتأنية للصراع العربى +الإسرائيلى وفى التصدى للمزاعم الإسرائيلية العديدة، وفى توجيه النقد اللاذع للسياسات الأمريكية فى المنطقة، وفى قيامه بكل ذلك من داخل الوسط الأكاديمى الأمريكى. وهو أيضا من تلقى نتيجة لجهوده الشجاعة الضربة تلو الأخرى من القوى الصهيونية وهو ما زال متمسكا برأيه مدافعا عما يراه حقا تاريخيا، ومنددا بما يراه ظلما بينا. وعضا عن مد يد العون له والوقوف معه ضد عدو مشترك نراه اليوم معرضا لهجوم غير مبرر مبنى على أقوال

مرسلة دون تحرى الدقة والتأكد مما نقلته عنه جريدة غير دقيقة ودون الأخذ فى الإعتبار سجل الرجل
المشرف ومواقفه الشجاعة.